

تفسير السعدي

2 ! 2 @ 324 @ 2 ! . ! 2 ! 2 ! 2 ! العذاب الذي أوقعه الله بالأمم المكذبة ، وأزال عنهم ما هم فيه ، من النعم والنعيم ، بسبب ذنوبهم ، وتغييرهم ما بأنفسهم ، ! 2 ! 2 من نعم الدين والدنيا ، بل يبقونها ، ويزيدهم منها ، إن ازدادوا له شكرا ، ! 2 ! 2 من الطاعة إلى المعصية ، فيكفروا نعمة الله ، ويبدلوا بها كفرا ، فيسلبهم إياها ، ويغيرها عليهم ، كما غيروا ما بأنفسهم . والله الحكمة في ذلك والعدل والإحسان إلى عباده ، حيث لم يعاقبهم إلا بظلمهم ، وحيث جذب قلوب أوليائه إليه ، بما يذيق العباد من النكال إذا خالفوا أمره . ! 2 ! 2 ! يسمع جميع ما نطق به الناطقون ، سواء من أسر القول ومن جهر به . ويعلم ما تنطوي عليه الضمائر ، وتخفيه السرائر ، فيجري على عباده من الأقدار ما اقتضاه علمه وجرت به مشيئته . ! 2 ! 2 ! أي : فرعون وقومه ! 2 ! 2 ! حين جاءتهم ! 2 ! 2 كل بحسب جرمه . ! 2 ! 2 ! من المهلكين المعذبين ! 2 ! 2 ! لأنفسهم ، ساعين في هلاكها ، لم يظلمهم الله ، ولا أخذهم بغير جرم اقترفوه . فليحذر المخاطبون ، أن يشابهوهم في الظلم ، فيحل الله بهم من عقابه ، ما أحل بأولئك الفاسقين . ! 2 ! 2 ! هؤلاء الذين جمعوا هذه الخصال الثلاث الكفر ، وعدم الإيمان ، والخيانة بحيث لا يثبتون على عهد عاهدوه ، ولا قول قالوه ، هم ! 2 ! 2 ! فهم شر من الحمير والكلاب وغيرها ، لأن الخير معدوم منهم ، والشر متوقع فيهم . فإذهب هؤلاء ومحققهم ، هو المتعين ، لئلا يسري داؤهم لغيرهم ولهذا قال : ! 2 ! 2 ! أي : تجدنهم في حال المحاربة ، بحيث لا يكون لهم عهد وميثاق . ! 2 ! 2 ! أي : نكل بهم غيرهم ، وأوقع بهم من العقوبة ما يصيرون به عبرة لمن بعدهم ! 2 ! 2 ! أي : من خلفهم ! 2 ! 2 ! صنيعهم ، لئلا يصيبهم ما أصابهم . وهذه من فوائد العقوبات والحدود ، المرتبة على المعاصي ، أنها سبب لازدجار من لم يعمل المعاصي ، بل وزجرا لمن عملها ، أن لا يعاودها . ودل تقييد هذه العقوبة في الحرب ، أن الكافر ولو كان كثير الخيانة سريع الغدر أنه إذا أعطي عهدا ، لا يجوز خيانتة وعقوبته . ! 2 ! 2 ! أي : وإذا كان بينك وبين قوم ، عهد وميثاق على ترك القتال فخفت منهم خيانة بأن طهر من قرائن أحوالهم ما يدل على خيانتهم من غير تصريح منهم بالخيانة . ! 2 ! 2 ! عهدهم ، أي : ارمه عليهم ، وأخبرهم أنه لا عهد بينك وبينهم . ! 2 ! 2 ! أي : حتى يستوي علمك وعلمهم بذلك ، ولا يحل لك أن تغدرهم ، أو تسعى في شيء مما منعه ، موجب العهد ، حتى تخبرهم بذلك . ! 2 ! 2 ! بل يبغضهم أشد البغض ، فلا بد من أمر بين ، يبرئكم من الخيانة . ودلت الآية على أنه إذا وجدت الخيانة المحققة منهم لم يحتج أن ينبذ إليهم عهدهم ، لأنه لم يخف منهم ، بل علم ذلك ، ولعدم

الفائدة ولقوله : ! 2 2 ! ، وهنا قد كان معلوما عند الجميع غدرهم . ودل مفهومها أيضا ، أنه إذا لم يخف منهم خيانة ، بأن لم يوجد منهم ما يدل على ذلك ، أنه لا يجوز نبذ العهد إليهم ، بل يجب الوفاء إلى أن تتم مدته . ! 2 2 ! أي : لا يحسب الكافرون بربهم ، المكذبون بآياته ، أنهم سبقوا الله وفاتوه ، فإنهم لا يعجزونه ، والله لهم بالمرصاد . وله تعالى الحكمة البالغة ، في إمهالهم ، وعدم معاجلتهم بالعقوبة ، التي من جملتها ، ابتلاء عباده المؤمنين ، وامتحانهم ، وتزودهم من طاعته ومراضيه ، ما يصلون به المنازل العالية ، واتصافهم بأخلاق وصفات لم يكونوا بغيره بالغيها ، فلهذا قال لعباده المؤمنين : ! 22 ! إلى ! 2 2 ! . ^ (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون) ^ أي : ! 2 2 ! لأعدائكم الكفار ، الساعين في هلاككم ، وإبطال دينكم ، ! 2 ! أي : كل ما تقدرون عليه ، من القوة العقلية والبدنية ، وأنواع الأسلحة